ملف مدينة الكمالية

الواقع البيئي والصحي

مستوصف صحي واحد لأربعة أحياء وبلا سيارة اسعاف!

بغداد/ مهند كاظم

في الطريق الى المستوصف الحكومي

في الطريق نحو المستوصف الحكومي مررنا باحد الاسواق الشعبية فتوقفنا لنستجلي اكثر بعض ملامح الواقع الصحي لمدينة الكمالية فالتقينا بالمواطن (احمد حسن جبر) وسألناه في البداية عن عمله فقال:اعمل نجارا لقوالب صب الكونكريت وبسبب تراجع اعمال البناء في الوقت الراهن لاسباب كثيرة منها ارتفاع اسعار المواد الانشائية والاوضاع الامنية وغيرها،لذا فانا اعمل يوما واتعطل اياما وبالكاد نحصل على قوت يومنا، ويضيف: لدي ثلاثة اطفال، احدهم مصاب بمرض هشاشة العظام والثاني بفقر الدم حتى انه سقط في بداية الامتحانات مغشيا عليه بسبب الحر وسوء التغذية، والثالث في طريقه الى الشفاء من مرض (ابو صفار)، اي التهاب الكبد الفايروسي، اما زوجتي فهي ربة بيت ممتازة الا ان اصابتها بنحول جسدي اضعف نشاطها فباتت اقل حركة من ذي قبل، اما انا فقد ترك الخشب والمسامير اثارهما على كفي وذراعاي. وعلى مقربة منه شاهدنا امرأة طاعنة في السن وهي تسأل بائع الخضار عن اسعار الطماطة والباذنجان والخيار، اقتربنا منها وسألناها: كيف هي صحتك يا حاجة ؟ فالتفتت وقالت بصوت خفيض مصحوبا بانة وتوجع: (مو زينة.. عدي سكر وضغط وعويناتي ما اشوف بيهن زين) وقلنا لها: هل تحصلين على الدواء باستمرار ؟ قالت: (بس السكر الدوة مالته نوبه يصح ونوبة ما يصح) وسألنا البائع (سالم بديوي صيهود): كيف تجد الوضع الصحي في منطقتكم ؟ فقال: من اين تأتي الصحةوالعافية وكل هذا الجو الملوث يحيط بالمدينة، لا مجاري، ولا شوارع مبلطة ولا ماء صالح للشرب، مع كثرة المستنقعات والحشرات الناقلة للجراثيم كالبعوض والذباب والصراصر، فانا مثلا، اعاني ومنذ مدة طويلة من قصور في عمل الكلية اليمنى بسبب الحصى الكلوي، ولا استطيع اجراء عملية جراحية لضيق ذات اليد لانها تتطلب مبلغا كبيرا لا اتمكن من توفيره وعملي هذا هو المصدر الوحيد لمعيشتي وهو كما ترى ذو مردود مالي محدود جدا وانا اعيل اسرة من خمسة افراد انا وزوجتي ووالدتي وطفلين احدهما لا يزال في طور الرضاعة ومصاب (بابي صفار) بسبب تلوث مياه الشرب وكما اخبرني الطبيب الذي اشرف على علاجه.

في كل سنة تتكرر مأساتنا ويكون الصيف نقمة على اهل الكمالية، فالغبار والروائح الكريهة التي تنبعث من سواقي المجاري المكشوفة التي تطفح بالمياه الاسنة والبعوض هم الزوار الدائميين لمدينة الكمالية، هذا ما قالته المزاطنة (ام صباح) التي قدمت الى المستوصف للحصول على بخاخ الربو لزوجها المقعد الذي فقد ساقه ابان الحرب العراقية الايرانية، وتوضح ام صباح قائلة: في الصيف تشتد على زوجها نوبات الربو بفعل تصاعد الغبار الشديد في المنطقة، لذا فهو يستهلك المزيد من هذه البخاخات. وسألناها: نراك تسحبين اقدامك سحبا وتتحركين بتثاقل واضح ما سبب هذا ؟ فقالت: انا اعاني من التهاب المفاصل المزمن واعتدت على تناول المهدئات، وهل تحصلين عليها باستمرار ؟ احيانا احصل عليها من هذا المستوصف واحيان اخرى من الصيدليات الاهلية. ثم اقتربنا من شاب يجلس على مصطبة وقد (جبست) ذراعه اليسرى وعلقت في رقبته وسألنه اولا عن اسمه وعمله وذراعه المجبسة فقال: اسمي (كريم الشمري) وعندي بسطة في منطقة الشورجة، وفي احد الايام حدثت اشتباكات مسلحة بين رجال الشرطة ومسلحين في منطقة الكفاح فهرعنا للملمة حاجياتنا ووضعها في المخازن التي استأجرناها نحن باعة الرصيف، ثم بدأنا بالركض نحو ساحة النهضة وفي هذه الاثناء صدمتني دراجة نارية فاسقطتني على الرصيف فاحدثت كسر مضاعف في ذراعي الايسر، وجئت الى المستوصف لغرض رفع الجبس عنه، وسألته ثانية: كم مضى على هذا الحادث ؟ قال: اكثر من شهر ونصف وانا اراجع المستوصف بانتظام لتلقي العلاج والحصول على الدواء المخصص لي، ثم طلبنا منه ان يصف لنا تعامل الاطباء والعاملين في هذا المستوصف مع المراجعين والمرضى فقال: التعامل يتسم بالتعاون وبالروح الانسانية ذلك لان هؤلاء يعرفون جيدا حجم معاناة المواطنين في هذه المنطقة. المواطنة (ام سحر) التقيناها وهي تهم بأخذ العلاج من الصيدلية استوقفناها وقلنل لها: انت المريضة ام طفلتك التي ترافقك ؟ قالت: ابنتي ذات الاربعة اعوام، اصيبت باسهال معوي الزمها الفراش لثلاثة ايام متوالية، ومما ساء في حالتها ارتفاع درجة حرارتها وها هي تواصل العلاج. وسألناها مرة اخرى: كم هو عدد افراد اسرتك ؟ قالت: ثمانية، اصغرهم (سندس) التي تصحبني، وهل هناك اخرون يعانون من مرض ما ؟ قالت: ابني سلام في الصف الخامس الابتدائي اصيب بالنكاف ومنحته مديرة المدرسة اجازة لمدة عشرة ايام حتى يكتسب الشفاء التام. وما هو عمل والدهم ؟ قالت: يعمل خبازا في احد افران المنطقة. وهل يكفيكم ما يحصل عليه من اجور ؟ قالت: لدي ولد في الثالثة عشر من عمره يعمل في ورشة حدادة يقوم بمساعدة ابيه في اعالة الاسرة، كان طالبا اليس كذلك ؟ نعم، ونظرا لظروف الحياة الصعبة اضطررنا الى ان يترك المدرسة والعمل لدى احد اقاربنا في هذه الورشة باجور يومية قدرها ستة الاف دينار. ثم سألنا الصيدلي الذي امتنع عن التصريح باسمه عن مدى توفر الادوية فقال: تجهيزنا يتم عن طريق مذاخر وزارة الصحة واتي بدورها تقوم بتوزيعها حسب مستويات وانواع الامراض في كل منطقة فهناك مثلا مناطق لا تحتاج الى عقاقير طبية لامراض الحساسية او الاسهالات المعوية، لانها تعيش في بيئة بعيدة عن اماكن التلوث المعروفة. وهل هناك شحة في بعض الادوية ؟ قال: يحدث احيانا ان تكون هناك شحة مؤقتة في ادوية الامراض المزمنة كالربو، وارتفاع ضغط الدم والسكري، الا اننا نستطيع معالجة هذا الامر بتوجيه المواطن نحو الصيدليات الاهلية بصورة انية وليست دائمة، والوزارة تسعى لتوفير المستلزمات الطبية العلاجية منها والوقائية، الا انها وبسبب الظروف الامنية الراهنة قد تواجه احيانا نقصا في العقاقير الطبية المهمة، ونعتقد بان هذا طبيعي في واقع قلق وغير مستقر. في غرفة الضماد شاهدنا رجلا ممدا على سرير المعالجة وقد كشف عن فخذه الايمن الذي بدت عليه اثار جروح عديدة، فدنونا منه وسألناه عن اسمه وعمله فقال: اسمي (جميل ناجي حنف)، اصبت بعدة شظايا في تفجير سيارة مفخخة في الكرادة اخترقت عضلات فخذي، وها انذا احضر بين يوم واخر لتنظيف هذه الجروح وتلقي العلاج وبانتظار ان اشفى منها كي اجري عملية جراحية لاستخراج الشظايا. وفي غرفة الفحص التقينا احد الاطباء الذي لم يشأ الافصاح عن اسمه هو الاخر وسألناه عن اكثر الامراض شيوعا في المنطقة فقال: الامراض الشائعة في المناطق الاربعة التي نقدم لها خدماتنا الصحية هي امراض (الاسهالات المعوية الشديدة والمتوسطة والتي غالبا ما تصيب الاطفال، والتهاب الكبد الفايروسي الذي يصيب الكبار والصغار على حد سواء وأمراض اخرى كحساسية الانف والاذن والحنجرة والنكاف والتهاب القصبات الهوائية فضلا عن امراض اخرى قد تكون درجة خطورتها اقل من خطورة تلك الامراض كسوء التغذية والهزال وفقر الدم. وعن اصعب الحالات المرضية التي واجهتهم قال: هي حالات قد تكون طارئة كحوادث المرور والتعرض لاطلاقات نارية عشوائية التي قد تستدعي تداخل جراحي سريع واسعافات فورية ونقل دم مباشر. وعن الصحة المدرسية اوضح لنا الطبيب قائلا: نقوم بزيارات لبعض المدارس من حين لاخر للوقوف على الواقع الصحي المدرسي ونجري بعض الفحوصات على التلاميذ تختص بفحص النظر وصحة الاسنان، ويضيف: ملاك المستوصف محدود ولذلك ليس بالامكان تخصيص فرق طبية دائمية لهذا الغرض ولذلك نعتمد في عملنا الطبي الموجه نحو الصحة المدرسية على المعلومات التي تزودنا بها بعض ادارات المدارس، وهذا بالتأكيد يعكس حالة التعاون بيننا وبين هذه الادارات. وعن الحالات الطارئة والمستعجلة قال: ليس لدينا صالة طوارئ ولا سيارة اسعاف، لذا يجري تحويلها الى المستشفيات القريبة، ونحن موعودين بتزويدنا بسيارة اسعاف. وعن حاجة المنطقة الى مستشفى عام ذكر لنا الطبيب بان مدينة الكمالية بحاجة ماسة الى مثل هذا المستشفى ولا اعتقد بان هذا المطلب سيتحقق في القريب العاجل.

مواطنون: من اين تأتي الصحة ونحن نعيش في بيئة ملوثة -لا مجاري- لا ماء صالح للشرب.. وكثرة في المستنقعات

لعل ما يميز الكمالية عن غيرها من الاحياء السكنية في بغداد، هو الغياب التام للحاجات البشرية والمتجسد في الجوع والفقر والمرض، وربما يدفع هذا زائرها الى التفكير بجدية لاستعادة مبتكرة في موضوعة الحاجات البشرية وطرق اشباعها وتوسيع دائرة تفعيلها، ذلك لان صلاح وتقدم المجتمع يمر عبر سكة اشباع افراده بالحاجات المناسبة والتي تمثل الضروريات الجوهرية للبقاء على قيد الحياة، وتنقسم هذه الحاجات الى ثلاث فئات كما يعبر عنها في ادبيات العلوم الاجتماعية وهي: حاجات اساسية (الطعام ووسيلته الغذاء، والتناسل وتربية الاطفال بالاسرة والمدرسة، والراحة بالمأوى والامان، والحركة بالرياضة والصحة بالعلاج، والذي يهمنا في الموضوع هو الواقع الصحي والبيئي في مدينة الكمالية، فالذي يروم زيارتها سيصدمه هذا الواقع المزري، اذ سيرى الناس ناحلي الاجساد، شاحبي الوجوه، زائغي النظر، يعتري سيرهم التثاقل والتعثر نتيجة اعتلال صحتهم، هذا هو حال الكبار منهم فكيف سيكون عليه حال الصغار ؟ ان الواقع البيئي والصحي في المنطقة ينبئ بكارثة بشرية حقيقية اذا ظل الحال على ما هو عليه، ولابد للوزارات المعنية ودوائرها والمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية ان تعمل على انقاذ ابناء هذه المدينة التي لا يوجد فيها مكان واحد يصلح للعيش، فكل الامكنة فيها صارت مواطن للفقر والمرض.

مستوصفان احدهما خيري

ولتسليط الضوء على هذا الواقع الصحي المتدهور زارت (المدى) المستوصف الصحي الخيري والتقت اولا مديره الدكتور (حاتم محمود) وسألناه عن ابرز سمات الواقع الصحي في الكمالية فقال: انه سيئ جدا ومترد وابرز علاماته انتشار امراض التايفوئيد والتهاب الكبد الفايروسي نوع Aبشكل غير مسبوق ومخيف وخاصة بعد حفر مجاري الصرف الصحي المكشوفة الذي ادى الى تسرب المياه الثقيلة الى شبكة مياه الشرب، واذا ما علمنا بان هذا المرض ينجم عن تلوث مياه الشرب، في الوقت الذي خلت منه مقدمة المدينة لعدم وجود مثل هذه المجاري..(في هذه الاثناء جيئ بشاب وقد هرشت اصابع قدمه اليسرى حافة صفيحة معدنية حادة مما اضطر الدكتور حاتم الى تركنا والانصراف لمعالجة جروح هذا الشاب، فلم يكن أمامنا الا ان نلتقي، بمسؤول التحليلات المرضية في والانصراف لمعالجة جروح هذا الشاب)، فلم يكن امامنا الا ان نلتقي بمسؤول التحليلات المرضية في المستوصف السيد (حامد مهدي) الذي سألناه عن الامراض الشائعة في المنطقة فقال: ينتشر في المدينة مرض فقر الدم (الانيميا) الحاد والاسهالات المعوية والتهابات المجاري البولية بسبب فقر المنطقة، ونقص الغذاء وتلوث البيئة، فضلا عن انتشار امراض الحساسية والربو نتيجة تصاعد الغبار بشكل مستمر منذ الصباح وحتى يصل ذروته في الساعة الخامسة عصرا، وكذلك مرض حساسية القصبات عند الاطفال، وعموما فان المنطقة تعاني من نقص واضح في الامداد بما تحتاجه من مستلزمات صحية ، ويؤكد السيد حامد على ان المنطقة الصناعية المواجهه للكمالية لها تأثيرات بيئية سيئة على المدينة وسكانها، فضلا عن انها تحظى بخدمات افضل منها تجهيزها بالكهرباء والماء واللتان تؤخذان من حصة المدينة، الامر الذي يشكل عبئا كبيرا على المسؤولين والمواطنين في هذه المنطقة على حد سواء مما ستدعي فصل الحي الصناعي عن المدينة خدميا، والزام أصحاب معامل الكاشي والبلوك والحجر بتوفير المحسنات البيئية لمعاملهم، ويشير السيد حامد الى وجود مستوصف صحي حكومي واحد يقع في نهاية المنطقة اريد منه ان يغطي اربعة احياء سكنية واسعة هي: حي المعوقين والرئاسة والكمالية وحي الشهداء، وهذا يعد من المستحيلات لاسيما وهو بامكانات بسيطة ومحدودة وليس فيه سيارة اسعاف واحدة. (وبعد عودة الدكتور حاتم واصلنا حوارنا معه) فقال: مع تواضع امكانات مستوصفنا الا اننا استطعنا ان نسعف حالات صعبة كثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، واجهتنا حالة معقدة تمثلت في قطع شريان ذراع احد الشباب نتيجة تعرضة لضربة سكين، وهي وكما معروف تحتاج الى عملية كبرى ولا بد من نقله الى المستشفى ولكون حالته كانت تتطلب اجراءا سريعا لوقف النزف بادرنا الى خياطة الشريان واعادته الى حالته الطبيعية وتمت معالجته، وسألناه: هل يحتوي المستوصف على صالة للولادة ؟ فقال: حالات الوضع والولادة يتم ارسالها الى المستشفيات التخصصية وكذلك الحالات المرضية الطارئة والتي ينحصر دورنا فيها بتقديم الاسعافات الاولية وتقديم العلاجات التي تسهم في استقرار حالة المريض الصحية لحين وصوله الى المستشفى، وكما ترى فان المنطقة في توسع مستمر، واعداد السكان في تزايد دائم، لذا فانها بحاجة الى مستشفى عام او على اقل تقدير مستوصف انموذجي تتوفر فيه ردهة طوارئ وردهة للولادة وسيارة اسعاف، ومن منبر (المدى) ارفع صوتي مناشدا الجهات الرسمية والمنظمات الانسانية الى تقديم الدعم اللازم لهذا المستوصف الذي يقدم خدماته بطريقة شبه مجانية تضاهي الخدمات التي تقدمها المستشفيات الكبيرة، وسألناه: هل لديكم احصائية بالوفيات ؟ فقال: ليس لدينا سجل بالوفيات، لان هذا من شأن المستشفيات العامة والتخصصية، ولكن نسبة الوفيات بين الاطفال تكاد تكون مرتفعة بسبب كثرة الامراض التي يتعرضون للاصابة بها لا سيما وان مناعتهم ضد هذه الامراض واهنة نتيجة سوء التغذية وحالات الفقر الواسعة، ويضيف الدكتور حاتم قائلا: تعد الصحة صمام الامان لاي مجتمع من المجتمعات وكذلك الخدمات فانها تحظى باهتمام كبير في الدول المتقدمة، لان صناعة مجتمع خال من الامراض ويتمتع افراده بالصحة وبوفرة العافية ليس بالامر الهين، بل يتطلب تضافر الجهود لبناء مجتمع ينعم بالصحة والامان اللتين تعدان نعمتين تعززان الحياة وتضفيان عليها بهجة وراحة ونماء.

ارتفاع نسب وفيات الاطفال نتيجة فقر الدم وامراض تلوث المياه

مراجع يومي

لقاؤنا التالي كان مع مسؤول ادارة المستوصف السيد (عباس عبود) الذي حدثنا قائلا: المستوصف خيري قام بجهود الخيرين من ابناء المنطقة وهو غير مدعوم من اية جهة كانت ونعتمد على التمويل الذاتي من خلال اجور رمزية قدرها ٧٥٠ دينارا للبطاقة الواحدة نستقطعها من المرضى الذين يراجعون المستوصف طلبا للعلاج، وقد تأسس عام ٢٠٠٤، وهو لا يزال قائما على تقديم خدماته حتى الان وعلى وفق الطريقة التي ذكرتها، ويوضح عباس بان معدل المراجعين يبلغ ١٠٠-١١٠ مواطنا يوميا، نقوم بجمع هذه المبالغ ونستخلص منها اجور الاطباء والعاملين والتي هي رمزية ايضا وما تبقى منها نشتري به الادوية والمستلزمات الطبية الاخرى، ولابد من الاشارة الى ان هناك اصحاب مذاخر ادوية ابدوا تعاونا مثمرا لمساعدة المجمع. وعن المعدات التي يعمل عليها المستوصف قال: لدينا غرفة جراحة اولية للحالات الانية غير المعقدة، اما الصعبة منها فيجري تحويلها الى المستشفيات القريبة، ولدينا جهاز تخطيط القلب والجهاز البخاخ ومختبر مخصص لاجراء جميع التحليلات المرضية، والمستوصف مخصص لمعالجة الامراض السارية كالتايفوئيد والتهاب الكبد الفايروسي المنتشر في المنطقة ويقدم خدماته بشكل يومي.بعد ذلك التقينا المواطنة (ام محمد وابنتها سلوى) التي قالت: اعتبر هذا المستوصف افضل من المستوصف الحكومي الوحيد في المنطقة، لانه يقدم خدماته بشكل متواصل، كما ان الدواء متوفر فيه على مدى الاربعة والعشرين ساعة، ناهيك عن تعامل الاطباء مع المرضى تعاملا انسانيا قد لاتجده في المستشفيات الاخرى، حتى ليشعر المراجع بانه افضل من المجمع وهذا ما نلمسه عند مراجعتنا للمستوصف، فهم لا يبخلون باي جهد في سبيل خدمة ابناء المدينة، ونأمل ان ان يلقى الدعم من الجهات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات الخيرية والانسانية. اما المواطن الحاج (جبار لفتة عداي) الذي حضر الى المستوصف لتلقي العلاج الذي خصص له فسألناه: ما هي حالتك المرضية التي تشكو منها ؟ فقال بعد ان تنهد طويلا: بسبب تقدم العمر بي اشكو من عدة امراض منها ضعف البصر وارتفاع ضغط الدم وفوق هذا وذاك تضخم البروستات، فقلنا له مازحين: لا تزال في ذروة الشباب وحتما انك تتمنى الزواج الان بزوجة اخرى، فتبسم وعدل نظارتيه وقال: لدي زوجتين فماذا اصنع بالثالثة؟ واضاف: لقد مضى قطار العمر. وسألناه مرة اخرى: وكيف تجد التعامل في هذا المستوصف فقال: التعامل طيب وانساني وخاصة الاطباء ومنتسبي المستوصف الذين لا يألون جهدا من اجل تقديم افضل الخدمات للمرضى لانهم من اهل المنطقة ويدركون تماما مدى احتياجات المواطنين واعرف من غيرهم بالحالات المرضية المتفشية في المدينة، ونأمل ان تلتفت الدولة اليه وان تقدم الدعم اللازم له وتطويره وتوسيع امكاناته العلاجية والدوائية، خاصة وان الناس في مدينة الكمالية يعيشون في فقر وعوز ظاهرين، ومن هنا تتضح اهمية تقديم التسهيلات المطلوبة له بغية تحسين الاداء الطبي والصحي لملاكاته.

كتابة على الحيطان

الفقراء و السياسة

عامر القيسي

ملفان فقط من ملفات مدن حزام الفقر حول بغداد الذي تنبته المدى يوضحان بما لا يقبل الشك ان احياء بكاملها بمئات ألوفها من النساء والرجال والاطفال يعيشون في زمن موغل في القدم، فحتى اربعينيات القرن العشرين كان باستطاعة المواطن ان يشرب ماءاً صالحاً للشرب من خلال اشكال فولكلورية (عادت الان بقوة) وكان باستطاعته ان يكيف نفسه مع حالة عدم وجود كهرباء لانها بالاساس غير موجودة وغير متعود عليها وكان باستطاعته ان يرتب امور المجاري في داره فلا تفيض عليه صيف شتاء ولا يختلط ماؤها بماء الشرب، واذا تركنا سياسة النظام المباد المجحفة ازاء مدن الفقر وموقفه منها فإننا صراحة نسأل ما الذي حصل عليه هؤلاء الفقراء منذ سقوط الطاغية حتى اللحظة. لا ننكر ان شيئاً ما قد حصل وجهودا ما تبذل في اتجاهات تتعلق بتحسين الخدمات التي تقدمها الحكومة لمواطنيها.

لكن السؤال المهم هو:

هل ما قدم خلال اكثر من اربع سنوات يتناسب مع حجم معاناة سكان هذه المناطق؟ الجواب لا يحتاج الى تنقيب كثير والارقام والمعلومات اللتين احتواهما الملفان كفيلان بالاجابة على السؤال وتبيان حجم الخدمات المتواضعة جدا وغير النوعية التي قدمت لهؤلاء البشر منذ مجلس الحكم وحتى الحكومة الحالية.

نقول مرة اخرى اننا لا ننكر حجم التحديات امام حكومة السيد المالكي وحجم التخريب الذي يحصل في كل مرافق ومؤسسات الدولة لإجهاض التجربة السياسية الديمقراطية الجديدة في العراق.

لكن الحقيقة تقول ان الفقراء هم حاضنة التغيير وهم المدافعون وهم وسيلته وغايته لانهم الاغلبية والاغلبية المطلقة في كل مراحل التاريخ.

انها دعوة لاعادة النظر في الاسلوب البيروقراطي الذي يحكم عمل المؤسسات التي تقدم الخدمات لفقراء الوطن، وابتكار اساليب اكثر انسيابية وافضل نوعية واقل فسادا لتقديم الخدمات لسكان هذا الحزام!.